

المحاضرة السابعة : الهجرة إلى المدينة

أمر النبي ﷺ بعد ذلك أصحابه بالهجرة إلى المدينة ، وأقام ﷺ ينتظر الإذن بالهجرة وحبس معه أبا بكر وعليًا - رضي الله عنهما - . واجتمعت قريش في دار الندوة للمشاورة في أمر النبي ﷺ فأجمعوا على قتله، فنزل جبريل - عليه السلام - بالوحي من عند الله فأخبره بذلك وأذن الله له بالهجرة فهاجر.

روية وبشرى :

رأى النبي ﷺ دار الهجرة في رؤية منامية أراها الله إياه؛ فكان ذلك وحياً من الله وإيذاناً له ﷺ بأن يأمر أصحابه بالهجرة لبدء مرحلة جديدة من الجهاد والدعوة في سبيل الله، عسى أن تكون أفضل من سابقتها. عن عائشة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "قَدْ أُرِيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةَ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ" - وَهُمَا الْحَرَّتَانِ - فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَةً مَنْ كَانَ هَاجِرًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجَهَّرَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "عَلَى رَسَلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرَجُّوْا ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: "نَعَمْ" فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ وَعَافَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَّ السَّمْرُ وَهُوَ الْخَبْطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَعَنْ أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه -، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يُثْرَبُ" .

بداية الرحلة إلى المدينة:

كان أول من خرج مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، وَعَمَّارُ بن يَاسِرٍ ثم خرج عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ.

وكان من أوائل المهاجرين أيضاً أبو سلمة - رضي الله عنه - وكان لخروجه قصة عجيبة تحكيها السيدة أم سلمة - رضي الله عنه - حيث تقول: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقودُ بي بغيره، فلما رآته رجال بني المُغِيرَةَ بن عبد الله بن عمر بن مَخْرُوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابناً عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المُغِيرَةَ عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففُرِّقَ بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس

بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، سنةً أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجلٌ من بني عمي، أحدُ بني المُغيرة، فرأى ما بي فرحماني، فقال لبني المُغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة! فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت ببعيري، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم علي زوجي؛ حتى إذا كنت بالنتّعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أبا بني عبد الدار؛ فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبني هذا. قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، وانطلق معي يهوى بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرمَ منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة نازلاً بها - فادخلها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة، قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

وتأخر النبي p وحبس معه أبا بكر - كما تقدم - وعلياً أيضاً ليؤدي الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته p .

هجرة النبي الكريم p:

هاجر النبي p من مكة إلى المدينة في ربيع الأول. وتعود بداية هذه الرحلة المباركة عندما كان أبو بكر جالسا في بيته وقت الظهيرة قال له قائل: هذا رسولُ الله p مُتَقَنَّعًا في سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ p فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ p لِأَبِي بَكْرٍ: "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ p: "فَأْتِي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ p: "نَعَمْ"، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحَتِي هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ p: "بِالْتَّمَنِ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَرْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَارَ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبَدَّلَكَ سَمِيَّتَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ تَقَفْتُ لَقْنُ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ فُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ عَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَيْلٌ مِنْحَتُهُمَا وَرَضِيْفُهُمَا حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

موقف قريش من الهجرة

وفي تلك الأثناء تفتن المشركون أن رسول الله ﷺ وأبا بكر قد خرجا فأخذوا يبحثون عنهما في كل مكان حتى وصلوا إلى الغار وهما فيه، ثم قربوا منه بشدة، حتى إن أبا بكر ﷺ سمع صرير أقدامهم حول الغار فرفع رأسه فإذا هو بأقدام القوم فقال: يا رسول الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: " يا أبا بكرٍ ما طنك باثنين الله تالئهما". ثم استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريئاً -والخريئ الماهر بالهداية- قد عمس حلقاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعاً إليه راحلتيهما وواعده غار ثور بعد ثلاث ليلٍ براحلتيهما صبح ثلاث. ثم انتظروا حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد. فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

في طريق الهجرة (سراقة بن مالك) :

يقول أبو بكر - رضي الله عنه - : فأسرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكاناً ينأى فيه النبي في ظلها ثم بسطت عليه فرزة، ثم قلت: نم يا رسول الله! وأنا أنفض لك ما حولك فنام وخرجت أنفض ما حوله فإذا أنا براعي عنم مقبل بعنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا فلقيته فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة، قلت: أفي عنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى فحلب لي في قعب معه كئبة من لبن، قال: ومعي أداة أرتوي فيها للنبي ﷺ ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيت النبي وكرهت أن أوقطه من نومه فوافقته استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب حتى رضى، ثم قال: " ألم يأن للرجيل؟"، قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس واتبعتنا سراقة بن مالك، قال: ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله أتينا فقال: " لا تحزن إن الله معنا"، فدعا عليه

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَارْتَطَمَتْ -ساخت- فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ، أَنْكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ عَلَيَّ فَادْعُوا لِي فَأَلَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمْ الطَّلَبَ فَدَعَا اللَّهُ فَنَجَا .

في طريق الهجرة (خيمة ام معبد) :

ومرَّ النبيُّ ﷺ وأبو بكر - رضي الله عنه - ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: "ما هذه الشاة يا أم معبد" قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم قال: "هل بها من لبن" قالت: هي أجهد من ذلك، قال: "أتأذنين لي أن أحلبها" قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت فاجترت فدعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجًا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم حتى أراضوا ثم حلب فيه الثانية على هدة حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالاً منهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضوء أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبته ثجلة ولم تزره صعلة وسيم قسيم، في عينيه دمع وفي أشفاره وطف وفي صوته سهل وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثائة، أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأباه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق فصلاً لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشناه من طول ولا تقنحه عين من قصر غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند، قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا، وأصبحت صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول: جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد هما نزلاها بالهدى واهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسؤدد ليهن أبا بكرسعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد وليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدا للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
ودعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صرياً ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب ... يرددها في مصدر بعد مورد
خروج المسلمين لاستقبال النبي ﷺ

وكان النبي ﷺ قد أشرف على المدينة وهو مُردِفٌ أبا بكرٍ، وأبو بكرٍ شبيخٌ
يُعرفُ ونبيُّ الله ﷺ شابٌ لا يُعرفُ قال: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أبا بكرٍ، فيقول: يَا أبا بكرٍ
مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فيقول: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قال:
فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ .

وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ
إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَيَنْقَلِبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا
أَنْتَظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ عَلَى أُطْمٍ مِنْ أَطْمِهِمْ لِأَمْرِ
يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ
فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ.